# رواية (كلمة الله) دراسة أسلوبية نصية

د. حنان سعادات عبد المجيد عودة

الجامعة الهاشمية

ملخص البحث:

يسعي هذا البحث إلى دراسة رواية (كلمة الله) للكاتب أيمن العتوم دراسة تطبيقية في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة.

حيث شهدت الدراسات اللغوية في العقدين الأخيرين من القرن الماضي تطورات على قدر كبير من الأهمية، رافقها دعوة العلماء إلى ضرورة إعادة الصلة فيما بين اللغة والدراسة الأدبية؛ بعد قطيعة كبيرة جداً، ولقد كان أهم مظهر من مظاهر التطور هو مولد نظرية نحو النص، التي تمكن أعلامها من إعادة الصلة فيما بين اللغة وواحد من أعظم تجلياتها وهو النص.

واتّسع البحث اللساني، فصار يجمع بين الاعتبارات اللفظية والتركيبية والمعنوية والمقاميّة، ويعيد تشكيل مناهج المعرفة اللغوية لدراسة العلاقات المنظمة للنص، فنتج عن ذلك ما عُرف بـ"نحو النص"، وهو محاولة لوضع منهجية قرائيّة تلج إلى الفضاء النصي، وتخترق أنظمته، وتفكك مستوياته الدَّاخلية، وتتعرف كيفية انتظام اللغة داخله، وتحقق نصِّيته.

فحاولت تحليل هذه الرواية تحليلا أسلوبيا عن طريق مراعاة التفاعل والترابط بين جسد النص بأجزائه من ناحية، ومدلولاته المتنوعة من ناحية ثانية، وكذلك مراعاة التفاعل بين المبدع والمتلقي من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءًا لا بأس به من اهتمام نحو النص.

فتجاوزت التقابل المتفاصل بين الموضوع والمنهج، والاجتهاد في تمثل المنهج من جهة واستثماره في التطبيق من جهة أخرى، وسعيت إلى إبراز أثر القدرات الخطابية في بناء القواعد

النصية التي تمنح النص التماسك والمقبولية، ذلك من خلال إثبات أن الروابط التركيبية لها أثر كبير في اتساق النص وفك رموزه وفهمه، وبحثها يشكل هدفاً مهماً من أهداف نحو النص، وأنَّها مبنية بحسب توجهات الخطاب.

## التماسك النصي

لقد نال مصطلح التماسك النصيCohesion اهتماماً كبيراً من قبل علماء النص، بداية بتوضيح مفهومه، ومروراً ببيان أدواته أو وسائله، وعوامله، وشروطه، والسياق المحيط بالنص، وعلاقته بالنص[١].

وفيما يتعلق بالمفهوم، فقد حاول علماء اللغة التفريق بين مصطلحين هما: Cohesion ، Coherence فأما مصطلح Cohesion أي: الاتساق، فإنه يَعني التماسك بين الأجزاء، التي تكوّن النص، وهويحقق الترابط للعناصر السطحية التي تحقق الترابط الرصفي، وتشمل وسائل التضام النحوية.أي الترابط النحوي ويُهتمّ فيه بالوسائل اللغوية الشكلية، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من ذلك النصّ أو النصّ كلّه، وحتى يتمكن المحلّل من وصف اتّساق الخطاب (النص)، فإنَّه يتبع طريقة خطية من بداية النص تقريباً–على أساس أنَّ النصّ عبارةٌ عن نسيج من العناصر، التي يعتمد بعضُها على بعض، وتكون بداية النسيج أهم نقطة فيه–يَرصد فيها الإحالات القبلية والبعدية، والضمائر، ويركِّز على وسائل الربط المتنوعة، مثل:العطف والاستبدال والحذف، وغيرها من الوسائل؛ ليصل في النهاية إلى أنَّ ذلك النص يشكّل كُلاًّ متكاملاً[٢].
ويخصصه سعد مصلوح ، بعد ترجمته، بمصطلح " السبك" بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص... أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني،التي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق[٣].

---

[١] انظر :أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١١٦، وانظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٣،وانظر :محمد خطابي:لسانيات النص،ص٥.

[٢] انظر: سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٤.

[٣] انظر: المرجع السابق: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٤.

وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية...ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو" الاعتماد النحويGrammatical Dependency"، ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي[٤]:

١- في الجملة. ٢- فيما بين الجمل ٣- في الفقرة أو المقطوعة

٤-فيما بين الفقرات أو المقطوعات ٥- في جملة النص

وأمّا مصطلح Coherence أي:الانسجام، أو الحبك كما ترجمه سعد مصلوح؛ فهو يعني عنده الاستمرارية الدلالية، التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم. أي الترابط الدلالي[٥]. وتحتاج هذه العلاقات من القارئ جهداً في التفسير والتأويل واستخدام ما في مخزونه من معلومات عن العالم، فالانسجام يتوقف على فهم المتكلمين، معتمداً على تجاربهم السابقة ومعارفهم وأهدافهم . ومصطلح الانسجام أعم من الاتساق، وأعمق منه؛ بحيث إنَّ الوقوف عليه يتطلب من المتلقي أن يوجّه اهتمامه نحو العلاقات الخفية، التي تنظم النص وتولده، ومن ثم فهو أعمق من الاتساق. وهو يقوم بتجاوز رصد المتحقِّقِ (الاتساق)إلى الكامن(الانسجام)، فيعالج موضوع الخطاب، والبنية الكلية، والمعرفة الخلفية، بمختلف الممفاهيم، حتى أصبح من المسلم به عند علماء النص؛ أنْ ينطلق محلل النص من كشف القضية التي يعالجها النص، وربط وسائل تماسك النص بتلك القضية، حتى يصل أخيراً إلى الحكم على ذلك النص بانسجامه أو عدمه[٦].

---

[٤]) انظر: سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٤.

[٥]) انظر :المرجع السابق، ص١٥٤.

[٦]) انظر :محمد خطابي:لسانيات النص،ص٥،وانظر :صبحي الفقي:علم اللغة النصي،ص٩٦-٩٧.

فسعد مصلوح فرق بين هذين المصطلحين واستخدم المصطلحين معاً للدلالة على التماسك، فجعل مصطلح Cohesion للدلالة على الترابط النحوي ، وجعل مصطلح Coherence للدلالة على الترابط الدلالي.

في حين اختصر هاليداي ورقية حسن مفهوم التماسك على مصطلح واحد وهو Cohesion للدلالة على الترابط النحوي والمعجمي[٧]، فمصطلح Cohesion عندهما يتضمن علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، التي تميز النصي من اللانصي، ويكون علاقة متبادلة مع المعاني الحقيقية المستقلة للنص مع الآخر، فالتماسك Cohesion عندهما لا يركز على ماذا يعني النصي بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحاً دلالياً[٨]. فهما لم يستخدما مصطلح Coherence للتماسك الدلالي ومع ذلك جعل غيرهما معنى Coherence مرتبطاً بالروابط الدلالية، على حين يدل مصطلح Cohesion عندهما على العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص. وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة. ولا يخفى أن معنى Cohesion هنا يرتبط بالروابط الشكلية، عكس المصطلح Coherence الذي يهتم بالروابط الدلالية[٩].

وسار صبحي الفقي[١٠] على نهج هاليداي ورقية حسن فآثر استخدام مصطلح واحد وهو Cohesion للدلالة على التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية، بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

---

٧)انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٥.

٨) انظر :صبحي الفقي: المرجع السابق، ص٩٥.

٩) انظر: سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٤.

١٠) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٥.

وأذهب إلى ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن وصبحي الفقي من بعدهما باختيار مصطلح Cohesion للدلالة على الترابط النحوي والدلاليّ؛ لأن كثرة المصطلحات تضر بالعلم.

وهذا ما أكده ابن خلدون، فقال:" اعلم أنّه مما أضر بالناس في تحصيل العلم، والوقوف على غاياته كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم، والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يُسلّم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها ، أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور"[١١].

والتماسك النصي هو المحصلة النهائية، والنتيجة الطبيعية للاتساق والانسجام وللتماسك أهمية كبيرة، فهو يعني بالعلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى. ومن بين هذه الأدوات المرجعية.ويعد التماسك النصي من أهم عناصر الموضوع بمعنى أن التحليل النصي يعتمد أساساً على التماسك في تحقيق النصية من عدمه[١٢]. فهو يُعنى بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضاً بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب. بل ويهتم بالعلاقات بين النص وما يحيط به. ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملاً، داخلياً وخارجياً[١٣]. بمعنى أنّ السياق والمتلقي والتواصل يمثلون العوامل المساعدة في تحقيق التماسك وفك شفرة النص.

---

[١١]) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م،ص٥٣١.

[١٢]) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٣.

[١٣]) انظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٦١، وانظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٢.

وهكذا فقد أصبح للتماسك حضور واجب في أي نص؛ ذلك أنّ كل كلمة تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة، مباشرة. من جهة أخرى، كل جملة تحتوي على الأقل على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدماً[١٤]. وبعض آخر من الجمل يمكن أن يحتوي على رابطة تربطها بما سوف يأتي، لكن هذه نادرة جدا، وليست ضرورية، لتعيين النص.

وإذا ما خلا النص من هذه الأدوات، سواءً أكانت شكلية، أم دلالية، فإنّه يصبح جملاً متراصة لا يربط بينها رابط، ويصبح النص –إذا عددناه حينئذ نصاً– جسداً بلا روح .وهو أشبه بأن يكون أشلاءً ممزقة .

وهناك فريق من علماء اللغة من جعل التماسك بين الجمل راجعاً إلى التماسك بين الظروف المحيطة بها، فترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل، مترابطة فيما بينها[١٥].فالنص قد يبدو مفككاً من السطح، لكننا لا نلبث أن نتبين أنّ وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكها، وتفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشتتها الخارجي[١٦]. فقد نجد كثيراً من الجمل المتراصة لا يجمعها إطار شكلي ، أو رابط شكلي، ولكن حينما ننظر إلى الإطار الدلالي الذي يتحكم في هذه الجمل المتجاورة يتبين لنا الخيط الذي يضم حبات هذا العقد فيما بينها. وهذا يرتبط بأدوات التماسك الدلالية، وبالرجوع إلى السياق المحيط بالنص. وبقدرة المتلقي على اكتشاف ذلك التواصل الدلالي.

---

[١٤]) انظر: سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٥.

[١٥]) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٩، وانظر: صلاح فضل : بلاغة الخطاب، ص٢٦٢،

[١٦]) انظر: سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٥، وانظر: سعيد البحيري: علم لغة النص، ص١٢١، وانظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص١٠٠. وانظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٦١، وانظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٢، وانظر: محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ص٨.

ويعد الغموض من أهم العقبات التي تعترض عملية التحليل التماسكي ، خاصة عندما يتعدد المحال إليه سابقاً، ولا يُعرف إلى أي شيء يعود الضمير. وكلما ازداد الغموض كلما أصبح تحقيق التماسك النصي أكثر صعوبة[١٧]، فهذا الغموض من شأنه أن يؤدي إلى غموض الدلالة، وبالتالي غياب الدلالة يكون سبباً في انعدام التماسك النصي. بالإضافة إلى ذلك فإن غياب أدوات التماسك المتعارف عليها كالأدوات الشكلية من مثل: الضمائر،أو العطف، أو التكرار يكون عقبة من العقبات التي تحول دون تحقق تماسك النص[١٨] .

وإذا ما وجدت إحدى هذه العقبات، أي عند فقد الروابط الاتساقية، فالحل يكمن في العثور على السياق المحيط بالنص. فهنا يبرز الدور الذي يقوم به السياق في التحليل النصي[١٩] ، فمن خلاله يستطيع المتلقي أن يدرك الصلة التي تربط بين الجمل التي لا يبدو بينها أي علاقة أو صلة. وقد أدرك علماء النص أهمية المتلقي في التحليل النصي، وأنه ليس مجرد متلقٍ سلب، بل يعدّ مشاركاً فعالاً في النص، وهذه المشاركة لا تعني قطع الصلة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة. فممارسة القراءة هي إسهام في التأليف، فللقارئ أهمية جوهرية في عملية التفسير لا يقل أهمية عند دور المنتج للنص[٢٠].هذا ما دفع بعض الباحثين إلى القول بضرورة وجود القارئ لتحقق وجود النص؛ فالنص ليس له وجود إلا إذا تحقق على أرض الواقع، وبالتالي هو لا يتحقق إلا من خلال القارئ. ومن ثم تكون عملية القراءة هي التشكيل الجديد لواقع متحقق وموجود من قبل، هو العمل الأدبي نفسه.

---

[١٧]) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص٩٩.

[١٨]) انظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٦١، وانظر: سعيد البحيري: علم لغة النص، ص٢٣٠.

[١٩]) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص١٠٠.وانظر: نبيلة إبراهيم: القارئ في النص، مجلة فصول، عدد ١، مجلد ٥، ص١٠١-١٠٢. وانظر: سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص١٥٥، وانظر: محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ص٨.

[٢٠]) انظر: نبيلة إبراهيم : القارئ في النص، ص١٠٢.

والقارئ الذي يستطيع أن يدرك طبيعة المنتج، وطبيعة النص، والوسائل المستعملة في النص، وسياق النص، هو ذلك القارئ النخبة أو المتلقي النموذجي أو المثال، فليس كل من يقرأ يفهم ، فالبعض من القرّاء لا يفهم ما يقرأ، وبعض آخر يفهم جزءاً ضئيلاً مما يقرأ، وبعض أخير يفهم كل ما قاله المنتج[٢١].فالمتلقي يستطيع أن يصنع أسئلة كثيرة يواجه من خلالها النص، ويلاحظ الوسائل التي تحقق من خلالها التماسك؛ ليتمكن أخيراً من فك شفرة النص.

فللمتلقي دور كبير في التحليل النصي، فهو يعدّ ركناً أساسياً من أركان التحليل، فهو القراءة الثانية للنص؛ ذلك أنّ النصّ يعد حواراً قائماً بين قائل النص والنص والمتلقي. ولكن لا بدّ أن تتوافر الكفاءة العالية للمتلقي التي تمكنه من استيعاب النص وتفكيكه، وتتمثل هذه الكفاءة في معرفة لغة النص، وأسلوبه، وسياقه[٢٢]. فهذا القارئ أو المتلقي النخبة أو المثال أو النموذجي الذي هذه من خصائصه هو الذي يستطيع أن يحكم على تحقق تماسك النص من عدمه.

---

[٢١]) انظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٣٠.

[٢٢]) انظر: صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص١١١-١١٢، وانظر: نبيلة إبراهيم: القارئ في النص، ص١٠٢.

## دراسة رواية (كلمة الله ) للكاتب أيمن العتوم دراسة نصية

في زمان ولا مكان، التقى ثلاثتهم دون تخطيط مسبق...وحين غابوا في أيكة الحياة، ، لم يكن أحد يدري ما الذي حدث بالضبط ولماذا حدث؟؟ قد تختلف طريقة غياب أحدهم عن الآخر، لكن ما الفرق؟؟؟النتيجة أن الغياب لم يخطئ أحدا منهم..

هكذا تجلت مقدمة رواية الكاتب والروائي المبدع أيمن العتوم في سماء منظومته الإبداعية (كلمة الله) ..، فهو يمثل جيلاً من الكتاب في عالمنا العربي عامة والأردني خاصة ممن يمنح النص النثري مذاقاً مختلفاً وفلسفة فذة عميقة قادرة على الولوج إلى مشاعرنا، وسبر أغوارنا والغوص في أعماقنا؛ لتثير بألبابنا عاصفة من التساؤلات وتحلقَ بأفئدتنا بعيدا حيث عالمٌ من الانزياحات، ترصدُ الواقعَ وتمنحُ النصَّ القصصيَّ مذاقاً مختلفاً قادراً على الكشفِ والغوصِ في دقائق الأمور، فامتازت روايته بأنساقٍ لغويّةٍ واضحةٍ ومعانٍ محدّدة، تُظهر الأحداثَ بوضوح دون غموض ينأى بها الكاتب بعيداً عن السردية المسْهِبةِ، فيعرضُ فكرتَه بطريقة شيّقة ذات وقع خاص، يؤثّر فيها على المتلقي، ويجبرُه أن يُتمّ الرواية حتى نهايتِها، فلا يتوهُ عنها، ولا يملُّ منها. حتى استطاع الكاتب أن يثير في نفس المتلقي جملة من التساؤلات من مثل تناقضات هذا الواقع عبر الذات المغتربة أو الإنسان/الفرد داخل بناء اجتماعي تتهاوى معطياتُه، فتمَكَّنَ من تجسيد الواقع من خلال استخدامه لغةً تصويريةً تستمرىء التفاصيلَ النابضةَ الحيةَ ؛ التي من شأنها أن تمنحَ اللحظةُ القصصيةُ بناءً محكماً بارعاً في السرد، فتتسرب أحداثه بخفة ورشاقة لتملأ نفوسنا فرحاً شجياً حين الفرح وتبث الارتعاش اللذيذ حزناً وتعاطفاً حين الألم.

فرواية (كلمة الله) نص روائي يرصد الممكن والمتاح ويزاوج بين الاتجاهات النفسية حين تعبث بها الأقدار فتُغرق المتلقي في الشجن المتواطئ مع الحزن تارة ومع الفرح تارة أخرى، أو تعبث به حين تمزقه الأسئلةُ في انتظار الإجابات.

فكانت للكاتب القدرةُ على استلاب مشاعر القارئ في الولوج مع شخصيات روايته ، الهامسة القريبة من القلب، حتى استطاع أن يقنعه على الدوام بحقيقة القصة وحقيقة بنائها الذي يعتمد في كثير منه على السرد الذي يزهو باللغة دون تعقيد وينقلُ خبرة المُروى عنه إلى مخزون الخبرة الإنسانية للمتلقي. من خلال تفاصيل ورؤى وحنين بمنطق السينما أحياناً، والحكاية أحياناً أخرى، فهى رواية تقدم الملامح الإنسانية الواقعية لمجتمعنا، تجتمع فيها صورتا العقل والوجدان ؛ لتجذبَ القارئ وتشدَّه من أول لحظة فتقدمُ الجانبين؛ الملموس من حياتنا والمخفي في نفوسنا بالإضافة إلى التركيز على القيم الأخلاقية وأهميتها، من خلال تصوير الواقع المفعم بالأحلام

والأحزان والآلام معا. وعلى مستوى الأحداث تظهر الرواية نوعا من التواصل بين العلاقات الداخلية والخارجية كافة، فنرى وحدة المكان والزمان وبناء الشخصيات بشكل متنامٍ، لا يغفل الكاتب فيه السرد الحكائي الذي يهتم بمكنونات اللغة لإضاءة النص، فهذه العناصرُ مجتمعةً تقدم ملامح الواقع اليومي بصدق مليء بالخبرة الإنسانية التي تنعكس على عوالم الشخصيات وعلى لغة الكتابة. فيستلهمُ الكاتبُ مفرداتِ السرد من وجود وعيٍ حقيقة الشخصيات وموقفها من العالم الخارجي، فهو عالم مفتوح على جرح الآخر والذات معا.

وتقتحم هذه الرواية النصية مناطقَ متعددةً في بنائها التلقائي وتوظف إمكاناتِها المختلفةَ ولوجاً لتسبر أغوارَ النفسِ الإنسانيةِ إعلاءً لقيمة الإنسان داخل بنية اجتماعية وليس فقط كنمطِ حياةٍ، فيصف الكاتب باهتمامٍ أبطال روايته وصفا دقيقا كأنه يعيش بينهم أو معهم فنشعر بذلك ونتأمل بشوق مايلي من أحداث...

فتناقش الرّواية فِكرة التّعصّب الدّينيّ المسيحيّ والإسلاميّ، وتُحاوِل أن تُظهِر النّتيجة الّتي تؤول إليها الحال حينَ لا يحتمل الفرُد في المجتمع شريكَه فيه، ويُلغِي كلّ طرفٍ الطّرفَ الآخَر. ومن جانبٍ آخر تجتهد الرّواية في ترسيخ فِكرة الحِوار، الحِوار الهادِئ الّذي قد يُغيّر القناعات ويُبدّل الاصطِفافات. وهي ترى في هذا الحوار سبيلاً وحيدةً لرقيّ المُجتمعات والتّخلّص من بعض الموروثات المبنيّة على عاداتٍ وتقاليد أكثر منها مبادئ وأفكار.

وتُلقي الضّوء على بعض الحقائق الّتي تغيب عن أذهان أفراد المجتمع بسبب غيابهم أو تغييبهم عن الواقع، وتكشف بعض الممارسات الوحشيّة الّتي تُرتكب بحقّ مَنْ يُؤمن بدينٍ جديد أو بعقيدةٍ مُغايرة. النّهايات الّتي ترسمها الرّواية تُظهر مدى قساوة النّتيجة الّتي تنتهي إليها شخصيّات الرّواية بسبب غياب تقبّل الآخر والاستِماع عليه.

اختلفت طريقة غياب أبطال الرواية :( صالح ، ومراد، وبتول) ، جمعهم القتل المهرطق باسم الدين.

الإسلام ، والإلحاد ، والمسيحية ، لا يهم إلى أي منهج تنتمي عقائدك فهذا العالم لا يكترث لذلك ، حين يغرق في بحور الشتات والفوضى .

فكلمة الله ، تلك السّامقة الشّاهقة ، الّتي ترأب صدع القلوب، وتنبض بعزّة الأرواح، تأتي في نقلة نوعيّة مهيبة من بهو الكنيسة إلى طبيعة القرية إلى صرح الجامعة حياةٌ كاملة ، يفتح أيمن العتوم ستار روايته على ملامح طفلة ...:"تعثرت بالفستان الأبيض الذي كانت تجره خلفها...أمسكت طرفي الثوب بيديها الصغيرتين الناعمتين ورفعتهما قليلا...ها هي تخطو أولى الخطوات بهذا

الحذاء فتقع حافة الفستان تحت موطئه...ينظر عميقا في عينيها الزرقاوين اللتين تشعان براءة ثم يعيدها إليه ويطبع قبلة حرى على خدها، وهو يهمس: يا ملاكي...ستبقين ملاكي ولو صار عمرك سبعين سنة...أنت بهجة الدنيا، وزينتها الأبدية "، فـ( بتول حداد) فتاة أردنية من عائلة مسيحية، قصتها ليست من الخيال

فتاة أرق من الماء الزلال في النهر الجاري ... وأحن من رفة حمامة على سطح ناعم ، أخذت تبحث عن الحقيقة بقلبها وعقلها حتى اهتدت إلى الإسلام فما كان جزاؤها إلا العذاب بأبشع صوره حيث قام أبوها بغرز أسياخ مجمّرة في بطنها وهوى بصخرة كبيرة على رأسها .. وهي مؤمنة أن الروض في الضفة الأخرى يناديها...، تلك الطّاهرة تُقيّد بالسلاسل والمواجع، ذاك الجمال المتوهّج يُصْلَى بالنّار ويُهشّم الرأس بالحجارة .. أمَا قالوا بأن ثمن الحبّ باهظ ..؟ فـ كيف لو كان الحبّ ثباتاً على الدّين!

كبُرت البتول الطّاهرة في كنفِ الأساقفة والقدّيسين والكنائس، كانت من الرّب قريبة ، لكنّه لم يحدث أن يمدّ "ربّها" لها يده ، لم يحدث أن أجابها عن تساؤلاتها اللّاهثة خلف أسراب الحقيقة ، اتّخَذَتْ من المسيح عليه الصلاة والسلام المخلص الشفيع، تعمدت بالماء المقدّس، لكنّ هذا لم يغلق عقلها عن الحقيقة، فـ لم تجد السّلام إلا عندما أصبحت "مسلمة" ، أسلمت وثبتت على دين الحق رغم الزنازين والعذابات!

ساقها جمالها ونجاحها لتدرس في الجامعة ، وهي الابنة المدلّلة ، ومحبوبة الوالد ، الّذي ما انفكّ حبّه العنيف لها يثير بعض الخلافات مع الأم – مريّم القدّيسة– .! وهناكَ كان صالحاً ، ذاك الّذي له في الصّلاح من اسمه نصيب ، ذاك الشّاب ذو الكاريزما اللّافتة، ممشوق القوام ، باذخ الفِكر .. صالح الّذي اخترق بثقافته وعِلمه المنطقة المُحرّمة من دماغها، وأَحَال روحها هالةً من التفكير في الحقيقة .. وقعت البتول في شِرك الحُب، والحُب هو الإيمان .. هو الإيمان فـ لن نكفر به!..

وجدت السّلام حين وجدت الله في قلبها ، فكانت وسط رحمة الأم ، وحشيّةُ الأب الّذي أحرق جسدها الطّاهر بعد أن حاول "كسر عينها" بأن يفتضّ عُذريتها .. ( أي وحوشٍ تسكن أجساد هؤلاء .. أليست المسيحيّة ديانة السّلام والتسامح..؟ أم أنّها مبادئ يُزَجُّ بها في غيابة الجُب .. ) ؟!غاص اللّحم الطريّ في تعاريج الوجع والعذاب .. (بتُّ اليوم أؤمن أكثر أنّ الحبّ هو العَذبُ والعذاب ..)!.. أُحرِقَت الأجساد الّتي لهجت روحها بالحق، صالحٌ رموه تحت أشعة الشّمس اللّاهبة لـ تنهش جسده الذّئاب ، وبتولُ المؤمنة عذّبوها في طهارتها!.

تدور أحداث الرواية في ثلاثة محاور..فكان محورها الأكثر الأهمية العنف الديني، وارتكز على المبارزات الحوارية بين الملحد(مراد) والشخصية المسلمة(صالح) من جهة، وبين صالح والفتاة الراغبة بالتصالح مع الذات، والتمرد على الإله المصلوب.. المبارزات بين الإيمان بالرب وبين

الإيمان بالحقيقة المطلقة، بوجود قوة عظمة خلقت الكون وهي الله لا اله إلا هو، وبين نكران هذه الحقيقة من الموجود وفيزيائيته وميتافيزيقيا الكون .. فقد عمد الكاتب إلى الإتيان بهذه الشخصيات، كمحاولة منه إلى بيان حقيقة الفكر الإيماني، فكر الإسلام بعيدا عن الأفراد والشخوص، فالإسلام والمسيحية دينان سماويان لم يرتبطا بمفردات وضعية، بل بما هو أعظم وأقدس وأكثر شمولية.. " فمن كان يؤمن بمحمد فإن محمدا قد مات ومن كان يؤمن بالله، فإن الله حي لا يموت..". إنها القناعة الإيمانية التي محلها القلب وموقن بها العقل، مترجمة إياها الحواس بالسلوك الايجابي. و القضية فقط ببساطة البحث عن الرب :" الله قائم بذاته ، أزلي أبدي ، ليس له أول وليس له آخر ، لم يأت من شيء ، ولا أتى منه شيء ، ولا يعادله أحد ، لا يخرج عن جوهره إلى جوهر من خلق لأنه سيكون مخلوقا ، والخالق لا يكون كذلك أبدا ، لا بولادة كالشعلة من الشعلة ، ولا بانطباع كالنقش على الشمع ، ولا يتجسد بأي هيئة ، وليس فيه اختلاف وامتزاج بين طبيعتين " ( ص ١٧٥) ،

وأما المحور الثاني الذي تعالجه الرواية والذي بدوره نال قسطا وافرا من البنية الروائية، فهو حقيقة (لا إكراه في الدين) وحرية المعتقد و النقاش وقبول الآخر والحوارية العقلانية إلى أقصاها

فصالح أراد أن يكفر بالإلحاد ويلعنهم ، إلا أنه ظل متوازيا حتى آخر لحظة ، ناقش صديقه مراد بأرقى الصور، ترك لعقله فرصة الاستماع والاقتناع بما يشاء إتباعا لقوله تعالى : "لا إكراه في الدين."
فصالح يملك من الحجة والأسلوب ما يجعله مقنعا للحجر .
يلتقي مراد تهديدات بسبب نشاطه الإلحادي ، فيخاف عليه صالح المسلم كي لا يصاب الفتى بأي أذى ، فيجنبه منه بامتلاك الحوار البناء، فلغة الحوار هي الأرقى والأسمى فهو لا يملك بندقية ولا سيف . فيحاول إقناعه بالعدول عن أفكاره، لكن أيدي الزبانية من مدعي الإسلام وصلت إلى مراد فهرولت بروحه عاليا إلى السماء . فيفوض صالح أمره بصلاة لله تقديسا لطهارة حبه لصديقه الملحد مراد.

كان صالح عاشقا قد خط سطرا في الهوى ، فجعل إيمان بتول في المسيحية مدخلا للحوار ، ، يتمحور الحوار حول ألوهية المسيح ، هنا يبدع أيمن العتوم بحجج المنطق ليدلل على صحة ما يذهب إليه فيقول : الإله كامل كلي والإنسان ناقص جزئي فكيف يلد الناقص الكامل ؟ وكيف يلد الجزئي الكلي ؟ فكيف تلد مريم إلها؟.
بعد هذا التشتت تقوم بتول باتخاذ مكانا مناسبا لها في مقابلة المسيح في أعلى كاتدرائية الجبل :

إن كنت إلها فلماذا جئت مولودا بطريق بشرية ؟ أفلم يكن مقنعا أن تهبط من السماء إلها كامل القدرة ؟

تجد البتول بصالح منقذها الذي سيوصلها إلى جنان الحق والحقيقة ، فينظر لها كفرصة بكامل بهائها الطاغي ، ترقص أمام ناظرها صيدا ثمينا فتقرر أن لا تضيعها. يصل خبر إسلامها إلى أبيها ، فينعتها بنسف كل ما تربت عليه لحوالي عقدين من الزمن ، ووجدته صخرة صماء قد علاها الغبار . فاختفت بتول بموجب قرار والدها خلف الزنزانة... لتسلم روحها إلى خالقها بجمر الأسياخ التي غرزت في بطنها حتى تصاعدت رائحة شواء روحها الطاهرة.. أما صالح فيتفقون على سفك دمه ويقتلونه باسم الرب فهو مهطرق زنديق.

ويبقى المحور الذي تميز بهدوئه وجلال قدره،قدسية الحب وروعته ، فلم يصور أيمن العتوم شخوصا ولا أجسادا ولا هوى ولا غواية، بل أرواحا تتلاقى وفكرا يتوحد ونضجا عاطفيا ، فنراه يتمدد ويستقر في الذات الإنسانية كي يخرج عن إطار الجسد والشهوات ليسمو إلى سدرة الروح، وإطلاق عنانها، فلم يدخل بأي علاقة على إطلاقها.. يقول عن الحب : " لا أحد يعرف ماذا يحدث حين يهبط طائر الحب على القلب ، شيء لا يفسر، كل نظريات العلم ، وكل أفكار الفلسفة لا تجد لهذه الحالة تفسيرا " (ص٨٠)..ويقول:" أفيكون الحب إرادة الله التي لا ترد ؟! أفيكون قضاؤه الذي يملك الإنسان منه مفرا ، ولا عنه مهربا ؟! ما أنت أيها الحب؟! لقد حيرت العقول وأذهلت النفوس؟! وهل الحب محتاج إلى عقل ليجد له تفسيرا " ( ص٨١) ، ويقول:" الحب لا يعرف العمر، ولا يعترف بالدين، ولا يقف أمام البوابات الجاهزة مهما كانت صماء، ولا يمكن أن تصد طوفانه كل سدود الدنيا، إذا سال طغى، وإذا طغى أغرق، وإذا أغرق أمات، وإذا أمات أحيا ، إنه داء لا يرجى البرء منه " (ص ١٢٧) ، ثم نراه يسهب الحديث عن مشاعر بتول الجياشة لصديقتها وعد بوصف إنساني شفيف، فيقول:" إنه يفكر كرجل، ويتكلم كعالم، ويناقش بهدوء وثقة كملك...وصوته؛ لا تقولي لي كيف صوته؟! مثل يسوع حين وقف في الليلة الأخيرة بين حواريه وألقى عليهم تعاليمه الوداعية...وعيناه ؛ لا تقولي لي كيف هما عيناه؟! وادعتان كحلم ، صافيتان كنبع ، صادقتان كنبي ... أنت عاشقة يا فتاة ؟! كلا يا وعد ؛ أنا مغرمة "..(ص١٢٥)

ويسدل أيمن العتوم ستار روايته على المشهد الأخير الذي يعتصر له القلب، وتؤجج به الروح على مرآى من الحياة ومسمع...مشهد إزهاق روح البتول...ومن القاتل؟!!! والدها؟! ..

" أضجعها بمساعدة أخيها على الأرض، وأوثق أطرافها إلى أوتاد قائمة على طرف البئر، أشعلا نارا في المكان ذاته الذي كان أبوها يشعل فيه النار قبل أكثر من ستة عشر عاما، اقترب أبوها منها أكثر، خاطبها: إنها فرصتك الأخيرة لتنقذي نفسك من الموت، فردت عليه: إنها فرصتي الأثمن لأتخلص من العذاب...كانت عيناها تفيض بالحب له في وسط هذا الأتون من العذاب المفزع...غرز الأب السيخ الأول في بطنها فأصدر صوت النشيش، انتشى الأب والابن للرائحة...هتف الأب بابنته والسيخ يغوص أكثر في اللحم...هل ترجعين عن دينك؟؟ أجابته وعيناها تكادان تتفجران، ووجهها قد امتلأ بأوعية الدم...الآن وقد شارفت على عبور قنطرة العذاب...الآن يا أبي....الآن يا حبيبي ...إن الروض في الضفة الأخرى يناديني، وها أنذا أهم بالوصول"( ص٢٦٤)..

فخيوط القدر تسير بنا كسيل عرم ينهب أرواحنا العطشى، ويستنزف قلوبنا المثقلة بالوجع ...وتبقى الخطيئة التي لا يمكن أن تبرأ منها الأرواح المخضبة بدماء الصادقين الأوفياء، ، تلك الأرواح التي ما انفكت تبحث عن الحقيقة ...حقيقة كلمة الله ، لتورثها للأجيال القادمة غير مبعثرة ولا منقوصة، هي أرواح تعلقت بأستار الرواية ومدت أصابعها نحوها ، لتجد تفردا فكريا لا تقوى على الوقوف أمام إعصاره وأشرعة نبضه الصادق؛ أساطيل من بوارج حربية وبراميل متفجرة، لأن الفكر يعيش بين خلجات الروح ..." ففي مساء ذلك اليوم الحزين ، وقف المصلون في مقبرة المسلمين صفوفا متراصة كالطيور الهائمة، صلوا عليها صلاة الوداع، تقدم أحد المؤمنين ، كان شابا بثياب بيضاء، لم يعترض طريقه أحد...حمل الجسد المُسجّى في كفن الرضا، ونزل به القبر، ثم صعد ليكمل الآخرون المهمة . نظر إلى السماء، رأى ملكا يحوم حول المكان...كان الملك يصعد بالروح إلى السماء!!"..

قائمة المصادر والمراجع:


١-أيمن العتوم: رواية كلمة الله، موازييك للترجمات والنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٥م.

٢- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(٨٠٨هـ) : مقدمة ابن خلدون، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣- سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول و الثاني، ١٩٩١م.

٤- سعيد البحيري: علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،ط١، ١٩٩٧م.

٥- صبحي الفقي:علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

٦- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،مصر، ط١٩٩٢،١م.

٧- محمد خطابي : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.

٨- محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٩- نبيلة إبراهيم: القارئ في النص، مجلة فصول، عدد ١، مجلد ٥.